الثقافة والتربية الدينية عند جون ديوي

بن صابر محمد [1]؛ سواريت بن عمر [2]
1ـ ط. د. كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2
bensabertl@gmail.com
2 ـ كلية العلوم الاجتماعية، قسم فلسفة، جامعة وهران2
saraute omar@yahoo.fr
تاريخ الإرسال:17/ 11/ 2018؛ تاريخ القبول:24/ 12/ 2018

Culture and religious education in Dewey's thought

BENSABER Mohamed; SOUARIT Benamar

Abstract: The American educator John Dewey is classified among the greatest philosophers of education that humanity has ever known for his knowledge and thoughts. Along his life, he enriched the world of education with a great number of books dedicated to this domain which he put in service of the American society and for the international community.

This study aims to clarify the relationship between the Culture and religious education in Dewey's thought. This education is considered as an important factor dealing with the individual and social existence. It is, according to Dewey, the basic element in forming individuals and building civilization for there are, in any civilization, some transient elements and others are constant.

The school is primarily a social institution, the school should grow gradually out of the home life, that it should take up and continue the activities with which the child is already familiar in home. Education like politics, literature and the plastic arts, is itself a phenomenon of human culture.

Every teacher should know the dignity of his profession, that he is a social servant set apart for the maintenance of proper social order and the securing of the right social growth.

In this way, the teacher is always the prophet of the True God and the benchmark to the trait of the Right.

He is the primary basis of education; he is the child's powers when he works along the general constructive lines which gave birth to civilization.

Keywords: culture; Community; School; Child; Religious education.

ملخص: يصنف المربي الأمريكي جون ديويJohn Dewey ضمن كبار فلاسفة التربية الذين أنجبتهم الإنسانية عبر تاريخها الطويل وذلك تقديرا لإنتاجه الفكري والتربوي الغزير الذي وضعه في خدمة أمته الأمريكية خاصة والمجتمع الإنساني بصفة عامة.

يهدف هذا المقال إلى توضيح علاقة الثقافة بالتربية الدينية عند ديوي حيث تمثل التربية إحدى أهم المسائل المرتبطة بالوجود الفردي والاجتماعي، وهي تعتبر العامل الأساسي في تكوين الأفراد وبناء الحضارة، فهناك عناصر عابرة وأخرى باقية في الحضارة.

المدرسة هي أولا مؤسسة اجتماعية، فينبغي أن تنمو المدرسة تدريجيا من حياة البيت، فتتعهد ألوان النشاط التي ألفها الطفل في البيت وتدفعها إلى الأمام، والتربية كالسياسة والأدب والفنون التشكيلية هي نفسها ظاهرة من ظواهر الثقافة الإنسانية وأن صلتها بالتاريخ الاجتماعي وبالحضارة صلة باطنة.

يجب أن يعرف كل معلم كرامة مهنته أنه خادم اجتماعي أنفرد بحفظ النظام الاجتماعي الصحيح، وتأمين النمو الاجتماعي الصادق. وفي هذا الطريق المعلم هو دائما رسول الإله الحق والهادي إلى ملكة الحق والأساس الأول للتربية، هو قوى الطفل حين يعمل في نطاق تلك الخطوط العامة الخالقة التي أنتجت الحضارة.

الكلمات المفتاحية: ثقافة ؛ مجتمع؛ مدرسة؛ طفل ؛ تربية دينية.

مقدمة:

ساهم جون ديوي John Dewey (1859.1952) بمشروعه التربوي في بعث ثقافة الحضارة الأمريكية، وهذا من خلال إعادة النظر في أوضاع التربية في مجتمعه وتجاوز النظريات التقليدية التربوية التي قيدت الفكر الإنساني وأعاقت الحركة الثقافية الأمريكية. فقد تزامن عصره مع التغير الصناعي وظهور الثورة الصناعية التي أترث في جميع الميادين اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا بل حتى على الحياة الأخلاقية والدينية.

هذا التغير فرض على التربية أن تستجيب لحاجات المجتمع الجديد الذي يعتمد على الصناعة كثيرا، لهذا تم إدراج عدد من المهن ضمن البرامج التربوية كالخياطة والحياكة والطبخ والحرف، يتطلب هذا تزويد المدارس بالمعامل والورش والحدائق وغيرها من متطلبات العمل اليدوي والتربية المهنية، فأصبح العالم سوقا كبيرة تعتمد على مراكز صناعية لتموين هذه السوق وتأثرت الحياة الأخلاقية والدينية من هذا التغير.

تعتمد الحياة الاجتماعية على الخبرة ويقصد بها تفاعل الفرد مع البيئة فيكسب من هذا التفاعل العادات والتقاليد ويتكون لديه ثقافة.

يرى ديوي أن البيئة الاجتماعية هي المجال الحيوي الذي بدونه لا تتحقق التربية على وجه صحيح، فالبيئة كالماء بالنسبة إلى الأسماك والبيئة تحمل الظروف التي يعيش فيها الفرد، هذه البيئة المناسبة هي المدرسة التي تعد الطفل لفهم الحضارة وما تحمله من ثقافة. تأثر التربية في المجتمع وينتقل شعاعها إلى الحضارة من خلال القيم والمعلومات والعادات والأدوات التي يستعملها الفرد في حياته والتي تشكل له ثقافة، لهذا يتصور ديوي أن المدرسة هي المكان المناسب الذي يصهر فيه أفراد المجتمع ويجتمعون في تقاليدهم وعاداتهم وتربيتهم. (ديوي جون، 1959: 48)

قدم ديوي نموذج تربوي جديد تميز به عن غيره من التربويين وقد تجاوز كل النظريات التربوية التقليدية، هذا الأمر حفزنا لتسليط الضوء من خلال إشكالية مقالنا في صيغتها التالية:ما علاقة الثقافة بالتربية الدينية؟

وكون التساؤل إحدى طرق الفهم والتوضيح ولتبسيط هذه الإشكالية ارتأينا أن نطرح جملة تساؤلات فرعية، هل التربية تساهم في بناء الثقافة؟ ما مكانة الفرد بعد تربيته في المجتمع؟كيف يمكن لجماعة أن تقدم تربية دينية للفرد؟ أين يتجسد دورها؟ هل التعلم يتوقف على المدرسة؟ أم يتعدها إلى الحياة الاجتماعية ؟ كيف نفهم التربية الدينية ضمن المشروع التربوي الديوي؟

لتفكيك هذه الإشكالية أتبعنا المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل الآراء التربوية معتمدين على مختلف المصادر والمراجع، وتوظيف المنهج النقدي من خلال تقيم أفكار ديوي التربوية.

الجدير بذكر أننا ونحن نبحث عن الدراسات السابقة لم نجد دراسات معمقة في موضوع التربية الدينية، ووجدنا دراسات كثيرة تتحدث عن التربية عند ديوي نذكر منها:

- أبو العينين، (1980). أصول الفكر التربوي الحديث بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه التغريبي، دط، مصر: دار الفكر العربي

- أمال حمزة المرزوقي،(2006). النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي، دط، السعودية: مكتبة تهامة

- حنيفي جميلة، (2013). دور المدرسة في بناء الديمقراطية لدى جون ديوي، العدد10، الجزائر: المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية

علاقة الثقافة بالتربية الدينية:

ذكر ديوي في كتابه الحرية والثقافة Freedom and culture نقاشه للماركسية كفلسفة سياسية واقتصادية، ويخالفها من حيث حرية الفرد ويؤكد على أن المنزل أول مكان يتعلم فيه الفرد الديمقراطية ويعتبرها منهج الحياة. في نهاية هذا الكتاب يتحدث عن أمريكا كنموذج عالمي يقوم على البحث العلمي والتجربة والإيمان بالتعددية الثقافية يقول

ديوي: « إن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري بمقتضاها يصبح المرء وريثا لها كونته الإنسانية من تراث ثقافي».(ديوي جون، 2003: 200)

التقدم الذي حدث في المجالين التكنولوجي والاجتماعي لا يسيران بشكل متقارب، فقد يسبق التقدم التكنولوجي التقدم الاجتماعي فيسبب ما يسمى بالهوة الثقافية، التي يترتب عليها سوء في التكيف الاجتماعي وكل هذا يبرر الدور الهام للتربية في خدمة المجتمع.

يرى ديوي أن المصلحة العامة وخدمة الحياة الاجتماعية تمثل المحور الأساسي في تشكيل الأخلاق والدين، فالتربية هي عملية إعداد الفرد بالتعلم وإكسابه أشياء معينة تساعده على تخطي العقبات والاستفادة منها مستقبلا، إذن فالتربية إعداد وتجهيز لشيء هام يحدث لاحقا، هكذا تبقى التربية لب الحياة الاجتماعية للإنسان.

يعتقد ديوي أن حين تتحقق وحدة العملية الأخلاقية بعملية تحقيق النمو تصبح العملية التربوية أفضل وسائل تحقيق التقدم الاجتماعي، وإعادة تنظيم المجتمع فإذا كان للديمقراطية معنى أخلاقي فإنه يعني أن الحكم على كل النظم السياسية والمؤسسات الصناعية والتعليمية يكون وفق مدى نجاحها في تنمية كل فرد من أفراد المجتمع وفق قدراته.

فالمجتمع تحكمه روابط وعلاقات مختلفة بين الأفراد فإذا اختلفت هذه العلاقات ينعزل الفرد عن الآخرين، ويتوقف النمو والتطور لهذا فكل هذه الأنظمة كالقوانين والدولة والكنيسة والأسرة والصداقة أمرا لنمو الأفراد وفق قدراتهم وإمكاناتهم، فإذا انقطعت الروابط تصبح الحياة

الإنسانية كما قال توماس هوبز Thomas Hobbes(1588.1679) «قبيحة ومتوحشة وبهيمة»(ديوي جون، 2010: 164).

تعتبر التربية ظاهرة اجتماعية تقوم في المجتمع يمثل إطار لها والفرد يولد لا يعرف شيء، وتتولى التربية من خلال التنشئة المعرفية والأخلاقية جعله عنصرا فعالا في مجتمعه. وتعتمد الأهداف التربوية على مجموعة من الأسس التي تعكس حاجة المجتمع وظروفه منها الأساس الروحي الفردي الاجتماعي الاقتصادي السياسي القومي الثقافي.

التعلم عملية أساسية في الحياة والتربية موضوعها الإنسان مند صغره إلى كبره ويجب أن نعرف خصائص المتعلم النمائية، وحاجاته وميوله واستعداداته وقدراته ودوافعه إلى التعلم، وتشارك الأسرة مع المدرسة والمجتمع في عملية تشكيل شخصية الطفل فهي البيئة الاجتماعية الأولى التي يعرف الطفل ذاته ويتلقى فيها التعاليم التي يجب فعلها والتي يمنع عنها ويغذي بأفكار ثقافية مختلفة تساهم في تكوين التربية الفردية.

يعرف إدوارد تايلور Edward Tylor(1832.1917) الثقافة في كتابه الثقافة البدائية بقوله: « هي ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والقانون والأخلاق والعادات والتقاليد، وغيرها من القدرات التي يتحصل عليها المرء كعضو في جماعة».(أبو شعيرة محمد، 1981: 125) تعتبر التربية جزء من الثقافة أي علاقة الجزء بالكل وكلاهما عمليات متداخلة، فإذا كانت الثقافة تمثل كيان المجتمع، فإن التربية هي وسيلة الحفاظ عليه وتجديده من خلال التنشئة البشرية فالتربية

وسيلة يتعلم أفراد المجتمع ثقافات مختلفة تساعد على الاندماج في جماعة هي التي تؤثر في الفرد لتربيته حسب نمط الجماعة، فإذا كانت جماعة دينية تكونت له تربية دينية.

من بين عوامل الثقافة التعليم الذي يساهم في التغيير الثقافي داخل المجتمع، من خلال المواد الدراسية التي تقدم له خبرات وتجارب الأخريين ويدعم السمات الثقافية التي تساهم على البناء والازدهار، كما نجد أن المعتقدات الشعبية تعيق التقدم والمسار الثقافي فهناك صور عديدة من المعتقدات تعوق التغيير، ففي زامبيا تعتقد المرأة أن أكل البيض يسبب شحوب لأطفالها وهزلهم، أما في الفيليبين يعتقدون أن أكل الدجاج والبيض معا في وجبة واحدة يسبب مرض الجذام وأكل الأطفال للحم يزيد من ارتفاع درجة حرارتهم، لهذا فالدور التربية يساعد في إحداث التغير والقضاء على مثل هذه المعتقدات السائدة في المجتمع. (أبو شعيرة محمد، 1981: 153).

يختلف تكوين الإنسان العربي عن الإنسان الغربي ويختلف عن الإنسان الأمريكي فنجد كل واحد منهم له لغة وشخصية وعادات خاصة به ساهمت فيها الثقافة، التي تشمل اللغة والعادات والتقاليد والمؤسسات والأفكار، كما أن الثقافة تعني التراث الذي أخذه الجيل الحاضر من الجيل الماضي وزاد في تطويره حسب ظروف الحياة يقول كليد كلكهون Clyde Kluckohn (1905.1960): « الثقافة هي وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ السافر منها والمتضمن

العقلي واللاعقلي، التي توجد في وقت معين والتي تكون وسائل إرشاد توجه سلوك الأفراد الإنسانين في المجتمع».(لبيب النجيحي محمد، 1981: 169)

من هذا التعريف نفهم أن السلوك الإنساني يتعلمه الفرد من خلال التربية وهذا السلوك يوضح لنا الاختلاف في الثقافات داخل المجتمع. فالعادة التي يكتسبها التلميذ في المدرسة هي عادة سلوكية تتميز بالذكاء فهي مرنة متطورة تواجه ظروف المستقبل، إن العادات الموجودة في ثقافة مجتمع تساعد على مواجهة التغير الاجتماعي وتطوير الحضارة الإنسانية وتربية الفرد وفق بيئته.

كلما ارتقى الإنسان في سلم التطور ازدادت عملية تجديد الوسط الذي يتفاعل معه تجديدا فعالا، ونجد ديوي يقارن بين الإنسان الهمجي والمتحضر يقول: «لنفرض أن كليهما يعيش في صحراء مجدبة فإن الهمجي يتكيف بالأحوال التي تكتنفه وينفعل بها إلى أقصى حد ممكن على حين لا يؤثر هو فيها إلا أقل تأثير، فهو يتلقى الأمور التي حوله كما هي وبالشكل الذي يجدها عليه، فباستغلال بعض الكهوف واستخدام بعض الجذور وبعض البرك أحيانا يستطيع أن يعيش عيشة هزيلة خطرة قلقة ليس فيها أي مجال للاطمئنان، أما الإنسان المتحضر فنراه يمضي إلى الجبال البعيدة ويقيم السدود على مجاري الحياة ويكون الخزانات، ويحفر الآبار ويرسل مياهها إلى مكان من قبل صحاري قاحلة».(لبيب النجيحي محمد، 1981: 251) من خلال قول ديوي

نفهم أنه يشير إلى فرق واسع بين الإنسان الهمجي والمتحضر وهذا راجع إلى البيئة التي نشأ فيها والثقافة التي تشبع بها تؤثر مباشر فيه.

التجربة الدينية والثقافة التربوية:

تظهر المشكلة الدينية حين يتعرض الإنسان لموقف الغايات وتكون القيم موضع النظر متعارضة تعارضا يحتاج إلى النظر، وترجع إلى الإباء والكهنة الذين يفرضون أرائهم الدينية في المجتمع وتنتقل عبر الثقافة إلى تربية الصغار. يعتبر كتاب ديوي« إيمان مشترك» نقدا للدين من منطلق اجتماعي، وكانت له جذور ميتافيزيقية فهو يرفض فكرة الإله وتهجم على بعض الأوساط الكنسية الاجتماعية، وربما كل هذا راجع إلى أن بداية حياة ديوي الأسرية وحرص أسرته على الالتزام بمعرفة الإله وانتمائه لرابطة الطلبة المسيحيين بجامعة ميتشيجان سنة1884.

يرى ديوي أن الإيمان هو واجب فمن ليس مؤمنا يعتبر كافرا أو مذنبا يقول: « كل المعرفة واحدة كلها عن الإله، كل دين هو تعبير عن عادات ومواقف عقلية لأي شعب وشعائره وعباداته التي تتبلور جميعها في الاعتراف بالإلوهية وبقداستها».(John Dewey,1934: 140)

بلغ التطور في فلسفة ديوي اكتماله سنة1908 حين كتب في مقال له عن « الدين في مدارسنا» حدد فيه خصائص الدين باعتباره سر خاص نابع من الذات. هناك شيء من المواجهة مع النفس عند الحديث عن التعليم في الدين بنفس المعنى الذي نتحدث به عن التعليم في مواد أساسية التي أخذ منهج البحث الحر طريقة إليها. (John Dewey,1915: 167)

كلما زاد كشف العلم عن المعرفة تراجعت الأسس التقليدية للدين، أما التدين يربط بين الأفراد من خلال الثقافة، فكل فرد يولد وينشأ في جماعة لها وحدتها الاجتماعية ونظمها وتقاليدها ويحتفل بها في طقوس وعبادات وعقائد تصدر عن ديانة جماعية تقوم بتوعية وتربية الأطفال. والتجربة الدينية مستمدة من ثقافة الفرد ومن جملة العقائد التي تلقاها وهي شعور مباشر، فهي الأساس الذي تضاف إليه العقائد.

يجمع ديوي بين التجربة الدينية والتجربة الجمالية فكلاهما يصدران عن النفس بإزاء شيء خارجي، وفي حالة التجربة الدينية يشعر الفرد بالأمن والاستسلام، أما في حالة التجربة الجمالية يشعر الفرد بالمتعة والارتياح فالإنسان كائن يتفاعل في بيئته حضارية معينة يؤثر فيها ويتأثر بها ويكسب بهذه الصلة خبرة متواصلة، هذا ما يجعل التربية الدينية تستمد قوتها من العلاقات الاجتماعية المتواصلة بمعنى الخبرة.(John 143 Dewey,1934:). يشبه ديوي المجتمع بالإنسان من حيث النمو والازدهار يقول: «التربية هي عملية توجيه وبناء خبرات الإنسان فرديا واجتماعيا فكما أن الأفراد ينمون أو يموتون حسب نوعية اختياراتهم كذلك المجتمعات فإنها تنمو وتزدهر أو تنحط أو تنقرض حسب نوع الخبرات أي حسب نوعية التربية التي تسود المجتمع» إذن التربية لها صلة مباشرة بالمجتمع وتساهم في تكوينه. (John Dewey,1941: 5).

يعد ديوي رائد من رواد الحضارة الأمريكية التي لها أثار وتقاليد مأثورة عن الحرية والديمقراطية، والعصر الذي ولد فيه وترعرع في أحضانه

والنزعات الفلسفية والاتجاهات العلمية، التي أخذت تقوى خاصة مع ظهور التصنيع ومناداة العمال بحقوقهم في ميدان العمل والتغيير المحسوس السريع، الذي نتج عن ذلك في المجتمع والأخلاق والتربية والدين والفن كل هذه العوامل ساهمت في تكوين ديوي فكان بذلك ثمرة هذه البيئة الثقافية والحضارية.(فؤاد الأهواني أحمد، 1968: 19) فهو من أصل إنجليزي إلا أن روحه ووجدانه تشبثت بتربية وتقاليد حياة الأرض الجديدة فهو مزيج متجانس من نشأته الأمريكية ومنبعه الإنجليزي، فهو يتميز عن غيره بأن تأثير الثقافة الأوروبية عموما والإنجليزية خصوصا واضح لكن تأثير البيئة الجديدة عليه، ساهمت في بناء فلسفة مميزة تؤمن بالتطور والنمو في كل شيء وبالتربية العملية القائمة على التجربة وحاول التميز بين مهمة الفلسفة والدين واللاهوت.

ارتبطت فكرة الفرد بمذهب الأحرار عند الأمريكيين والإنجليزيين لأن الأحرار هم الذين يوجهون سلوكهم ويسيرون أمورهم بحسب ما يمليه عليهم العقل، أما الذين يتبعون أهوائهم وشهواتهم فهم محكومون بحواسهم ليسوا أحرارا.

في أوائل القرن التاسع عشر ظهرت سياقات ثقافية تربوية مختلفة بين النظريات الإنجليزية والنظريات الأمريكية، لقد وجد توماس جيفرسون Thomas Jefferson (1743.1826) يعتبر ثالث رئيس للولايات المتحدة الأمريكية تقلد العديد من المناصب السياسية نائب رئيس ثم

وزير خارجية ثم حاكم فرجينيا الثاني. تكلم عن مذهب المؤسسات الحرة وجد أن خصائص الأفراد التي ترتبط بها تلك المؤسسات أوثق ارتباطا لا تعدو صفات موجودة في طبقة الزراع.

لقد أثر النظام الإقطاعي في الولايات المتحدة الأمريكية قليلا وتطور النظام الصناعي يسيطر على المؤسسات ورجال الأعمال والسياسة والثقافة والاقتصاد. (ديوي جون، 1955: 60) إن الذين قاموا بتأسيس الديمقراطية السياسية في أمريكا تفطنوا لضرورة توفر الأحوال الثقافية لقيام المؤسسات الديمقراطية بعملها.

يرى جيفرسون أن ترقية التعليم الابتدائي في أوروبا في القوة الحربية وكان العلم في ألمانيا سببا في التطور وازدهار الثقافة، يرى ديوي أن لا مانع إذا ما قام أحد كبار المربين الممتازين في أمريكا، يدعوا إلى إتحاد الجامعات الألمانية مثالا إذا أرادوا معالجة مؤسساتهم العلمية. فالخطر الذي يهدد الديمقراطية ليس في انقسام رجال الأعمال أو في رجال الدين أو السياسة أو التربية وإنما في أحوال مواقف شخصيتهم لأنهم خضعوا التربية أبعدتهم عن المجال الثقافي.

جمع ديوي بين المادية العلمية وأراء وليم جيمس الذي كان يتجه على وجه الخصوص وجهة دينية، فقد اهتم ديوي بالمذهب السلوكي الذي قدمه جون واطسن John Watson (1878.1958) عالم نفس أمريكي مؤسس المدرسة السلوكية، و ينادي أنه لا توجد معرفة حقيقية خارج المعرفة التي ينتجها منهج العلوم الطبيعية.

يقول ديوي: « ينبغي رفض كل الأفكار التي تتعالى على الطبيعة في هذا العصر المتقدم والاتجاه بالكلية إلى الخبرة». (ديوي جون، 1955: 70) حسب ديوي تعلمنا الخبرة أن كل شيء يتغير وأنه لا يوجد ثبات لا في المادة أو في العقل والفكر أداة للعمل، ولا يبدأ الإنسان في التفكير إلا حين يصطدم بصعوبات مادية يكون واجبا عليه التغلب عليها وسمي مذهب ديوي الذرائعية وتصور أن العالم مادي وعلمي. (بوشنسكي إ ، 1992: 162)

أمن ديوي بآراء توماس جيفرسون الذي ناد بأفكار التغيير وقدم مثال عن الثورات التنويرية في أوروبا القائمة على الحرية والمساواة ودعا إلى تغيير المجتمع الأمريكي، وفق القيم السياسية والاجتماعية والدفع بالعجلة الثقافية لأمريكا.

لهذا ناد ديوي بضرورة تجديد المجتمع من خلال بناء منظومة تربوية تنشر بين الأفراد والمواطنين الأمريكيين مبادئ الديمقراطية والعدل والمساواة والحرية. (بوشنسكي إ ، 1992: 163)

يؤكد ديوي على أن التربية تهتم بالنمو والتغيير والثقافة أيضا تتغير وتنمو حسب الفرد، فإذا كان نظام بطليموس Batlaimous(100.170) عالم فلكي وجغرافي، يقوم على أن الأرض ثابتة وهي المركز والشمس تدور حولها والنظام الكوبرنيكي نسبة لنيكولاس كوبرنيكوس Nicolas Copernic (1473.1543) يجعل الشمس مركزا لجميع الكواكب فإن نظام ديوي يعتقد أن الشمس والأرض هما من عالم واحد كله يتحرك

بإستمرار في تفاعل وترابط بين سائر أجزائه».(ديوي جون ، 1960: 7).

إذن تفضي نظرية ديوي أن الكون والأشياء والإنسان في حركة دائمة تتميز بالتطور والنمو والثقافة جزء من هذه التربية وأساس هذه العملية. يقول ديوي: « إذا كانت موازين الأخلاق منحطة فذلك ناشئ من نقص التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الاجتماعية».(ديوي جون، 1959: 137) بمعنى أن الأخلاق ظاهرة اجتماعية تساهم في بناء ثقافة الفرد.

المدرسة مؤسسة اجتماعية ثقافية:

أهتم ديوي اهتماما كبيرا بالأخلاق فقد حاول تطبيق المنهج العلمي على المسائل الأخلاقية، كما طور مدرسة شيكاغو البراغماتية من الناحية الاجتماعية والأخلاقية، وقد أختلف عن التوجه الفردي لبراغماتية وليم جيمس William James (1842.1910) وتوجه التحليل المنطقي لبراغماتية شارل ساندر بيرس Charles Sandres Peirce(1839.1914). لقد كان ديوي هيغليا صريحا وكان تأثير فريدرش هيغل Friedrich Hegel(1770.1831) واضحا على فكره خاصة في المجال الثقافي واستمر في تغيير المثالية الثقافية الهيغلية إلى النزعة الطبيعية الثقافية وساعده في ذلك ظهور علم النفس الوظيفي يقول هربرت ميد Herbert Mead(1863.1931): « انتقل ديوي من موقفه المثالي عن طريق التحليل النفسي إلى الفعل الأخلاقي».(موريس تشارلز

، 1996: 216) ويقول ميد في مقام أخر حول مكانة ديوي: « إن جون ديوي هو فيلسوف أمريكا بالمعنى العميق لهذه الكلمة». بمعنى تميز وأهتم بالديمقراطية الأمريكية.

يوضح لنا كتاب الديمقراطية والتربية أنه بني على مصطلحين لثالوث ديوي الذي هو العلم، لأنه يؤمن بفكرة المثال الديمقراطي The democratic ideal ويقبل اتصال الإنسان بالطبيعة بمعنى البيولوجيا التطورية، وبين قبوله المنهج التجريبي للعلم وبين نمو الديمقراطية، ويقبل بمجتمع صناعي لكنه يحتاج إلى التربية التي تنشأ في المدرسة وتعبر عن قوة المجتمع وتصنع ثقافته. يشير ديوي إلى الديمقراطية كتصور اجتماعي بمعنى أنها تصور أخلاقي يقول في بحث نشره سنة1888 بعنوان«أخلاق الديمقراطيةThe ethics of democracy»:« إذا كانت الديمقراطية لها معنى أخلاقي ومثالي، فإنه ينتج عن هذا المعنى أن يكون لها عائد اجتماعي على الجميع وأن تقدم الفرص للجميع لتنمية القدرات المتميزة. »(ديوي جون ، 1956: 142).

يرى ديوي في كتابه التجديد في الفلسفة Reconstruction in Philosophy سنة1920 أن العلم الحديث أهتم في القرن السابع عشر باختصار على تطبيقه في مجال الفلك، والقرن الثامن عشر في مجال الفيزياء والكيمياء والقرن التاسع عشر بالتطبيق في مجال الجيولوجيا والعلوم البيولوجية، أما في القرن العشرين اهتم بالمجال الحياة الأخلاقية والاجتماعية. »(ديوي جون ، 1947: 76).

نعيش في عصرنا تغير جدري وسريع بفضل ابتكارات الإنسان عن طريق التجريب العلمي من اختراعات علمية وتكنولوجيا، لكن التقدم الذي حدث في المجالين التكنولوجي والاجتماعي، لا يسيران بشكل متقارب فقد يسبق التقدم التكنولوجي التقدم الاجتماعي، فيسبب ما يسمى بالهوة الثقافية التي يترتب عليها سوء في التكيف الاجتماعي وكل هذا يبرر الدور الطبيعي للتربية في خدمة المجتمع من خلال المدرسة.

يقول ديوي:«إن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري بمقتضاها يصبح المرء وريثا لما كونته الإنسانية من تراث ثقافي، وبالتقليد والمحاكاة تتحقق التربية الاجتماعية بطريقة لا شعورية، وبحكم معيشة الفرد في المجتمع يتحقق للحضارة الإنسانية الانتقال من جيل إلى أخر والتربية المقصودة تتطلب دراية بنفسية الطفل من جانب وحاجات المجتمع من جانب أخر». (أحمد الهمرشي عمر ، 2001: 93).

يعتقد ديوي أن تحريف الدين يؤدي إلى خداع يصبح العالم مماثلا لرغباتنا الشخصية، وعند توفر هذا الإحساس نؤجل الفناء ونعيش فيما هو عالمي، فحياة المجتمع التي نعيش فيها ونحقق فيها وجودنا هي الرمز المناسب لهذه العلاقة، والأفعال التي ندرك فيها علاقاتنا التي تربطنا بالآخرين هي طقوسها وشعائرها الوحيدة. هذا يعني أن ثقافة جماعة ما في عصر معين هي لا شك المؤثر الذي يتعين به نظام هذه الجماعة، وهي التي تميز نشاط أية جماعة أسرة أو قبيلة أو شعبا إذن حالة الثقافة هي التي تعين ترتيب النزعات الفطرية وتحدد نظامها، فحتى الأطفال الذين

يتكلمون لغة الجماعة التي يعيشون في وسطها وأيضا يشتركون في صفات بينهم. (ديوي جون ، 1955: 42). الثقافة مركب معقد من العادات تتجه إلى العمل على الاحتفاظ لكيانها وصيانة نفسها، إن صيانة المؤسسات الديمقراطية والمحافظة عليها ليس بالأمر الهين الذي كان يظنه الإباء المؤسسون الأوائل للنظام الأمريكي.

يرى ديوي أنه في أي وسط ثقافي نجد أن النظريات الفلسفية المتصارعة عن طبيعة المعرفة والعقل، يمكن ربطها بوضوح بالأسباب والأسس المتعارضة التي تقوم عليها مختلف الحلول للمشكلات الأساسية اجتماعية أو فردية في الثقافة. ويتضح مفهوم الحرية بتحديد مفهوم الثقافة في المجتمع الذي يتضمن فلسفات اجتماعية واقتصادية وسياسية فإذا كان نوع الثقافة يترتب عليه نوع الفلسفة السائدة وبالتالي نوع الحرية فإن نوع الثقافة أيضا يترتب عليه نوع النظرة إلى الطبيعة الإنسانية.

إن تنمية الحرية والعمل هو عمل التربية الدينية لأنها تقوم على احترام شخصية الإنسان كما أنها تعمل على تنمية العقل، فيكمن معنى الحرية في نوعين من الخبرة أحدهما الخبرة الفيزيقية العمياء والأخرى الخبرة الهادفة وهي التي تعطيها الطريقة الذكية للتفاعل مع الأحداث وبتالي نصبح أحرارا ونتعلم كيف نفكر. (ديوي جون ، 1955: 243).

يعتبر التفكير هدف من أهداف التربية الذي يقوم على أساس البحث التجريبي العلمي ويمر بخطوات حسب ديوي، يمر التلميذ بموقف خبري

حقيقي يكون فيه نشاطه مستمر لذاته وتنمو مشكلة حقيقية تنير تفكيره وتتوفر للتلميذ معلومات هامة ويقوم بالملاحظة عليها.

عندما نتكلم عن الثقافة الأمريكية فإننا نشير إلى المدرسة التي تعتبر مسؤولة عن إنتاج طرق الإحساس والتفكير، التي تعتبر زبدة الثقافة المميزة كما أن تشارك في بناءها المنظمات الاجتماعية والدينية. (ديوي جون ، 1960: 118). إن التعليم يشكل ترابط في الأفكار تعبر عنها الثقافة في المجتمع بمعنى ترتبط الثقافة في البلاد بالتعليم، وأن ما يبديه الجيل الصاعد من اهتمام بالفن لدليل مشجع على نمو الثقافة كما تساهم الصناعة في الثقافة والتربية.

يثابر ديوي في صياغة مفهوم التربية الدينية فهي القادرة على إثارة قوى الطفل نتيجة شعوره بما تتطلبه المواقف الاجتماعية التي يواجهها. كما يرى أن هدف التربية تمكين الفرد من المشاركة في الوعي الاجتماعي

للجنس البشري. (ديوي جون ، 1968: 152). يقول ديوي: « إن الغرض الأسمى للتربية هو القدرة على ضبط النفس». من خلال تعريفه لوظيفة التربية يتضح لنا العلاقة بين الفرد والمجتمع يقول أيضا: « إن قولنا بأن التربية وظيفة اجتماعية ترمي إلى توجيه النشء وتنميتهم بإشراكهم في حياة المجتمع الذي ينتمون إليه، هو كقولنا بأن التربية تتغير بحسب نوع الحياة الذي يسود المجتمع».(ديوي جون ، 1947: 284). بمعنى يوجد علاقة أساسية بين التربية والمجتمع فهو الذي يفرض على

الفرد نوع التربية التي يتعلمها منذ طفولته، ويجسدها في حياته لكن أين تكمن العلاقة بينهما؟

الخاتمة:

من خلال هذا المقال يمكن القول أن أفكار جون ديوي في التربية أساسها الواقع الاجتماعي الذي عاشه، ومن الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمع الأمريكي، فهي تعكس صورة الثقافة الأمريكية لقد أستمد أفكاره من رائد الفلسفة التنويرية في أمريكا توماس جيفرسون thomas Jefferson الذي دعا إلى التربية الديمقراطية على أسس علمية. ينادي ديوي أن التربية هي الحياة نفسها وغايتها الطفل الذي له قيمة اجتماعية في الحاضر والمستقبل، والمدرسة هي صورة مصغرة للمجتمع يتعلم فيها حل مشاكله بديمقراطية، وتبقى المدرسة مؤسسة اجتماعية ترتبط بالحياة من خلال ربط التعليم بالعمل، إذن ديوي يعترف بمحو الدين من المؤسسات التربوية وتنمية النظرة الإلحادية، هذه النظرة ناد بها ماركسMarx وإنجليزEngels إنه يتجه بفكرة المدرسة الملحدة.

لقد نظر ديوي بمنظار معاصر على أن التربية تعمل على جبهتين متصلتين المستوى الداخلي، تسعى فيه التربية إلى تقليص التفاوت الاجتماعي إلى أدنى حدوده الممكنة وذلك بتهيئة الأفراد على قدم المساواة لمواجهة المستقبل، أما المستوى الخارجي مهمة التربية تولي العناصر التي تجمع الإنسانية وتكرس مبدأ التعاون والتواصل الدولي

لقد صنع المجتمع الديمقراطي ديمقراطية ودافع عنها وأبرز الوسائل لاستمرار التربية. (حجلاوي لطفي ، 2013: 89)

يرى ديوي أن التعليم نوع من الثقافة أو يعد تربية حرة، لكن تدريب المحامي والطبيب والفلاح والتاجر يعتبر فنيا وحرفيا خالصا وهكذا ينقسم الناس إلى مثقفين وعمال. وقد أشار ديوي إلى علاقة المدرسة بالطفل وتصور أن التربية التقليدية تقدم حاجات الطفل من الناحية الصحية والتربوية، لكنها لا تساهم في تنمية قدرات وميولات الأطفال وهذا الواقع الذي يعيشه الطفل في المدرسة التقليدية يجب أن يتغير نحو الأفضل.إن المشكلة هي إيجاد الطريقة التي تتفاعل بها عناصر ثقافة ما بعضها مع بعض، فإذا كانت ثقافة الأمريكيين تقوم على المال إلى حد كبير فإنها تحتاج إلى تربية تحكم وتسير الفرد نحو تحقيق رغباته في حياته.

يمكن القول في الختام أن التربية تمثل شرطا ضروريا لنجاح المشروع الثقافي الذي ناد به ديوي، لكنه لم يعتبرها الوسيلة الوحيدة للإصلاح الاجتماعي فقد أكد على حلقة التربية بداية من الأسرة إلى المدرسة إلى المصنع وكافة المؤسسات الاجتماعية يقول ديوي: « إن المدارس لا تشكل القوى التكوينية القاطعة، وإنما المنظمات الاجتماعية والاتجاهات الحرفية وطابع الترتيبات الاجتماعية هي المؤثرات الأخيرة المسيطرة في تشكيل العقول وتكييفها». يشير ديوي إلى أنه عندما أختار التربية لأنها مترابطة تماما مع الثقافة، في معناها الاجتماعي الشامل ولأن التأثير

التعليمي للمنظمات السياسية والاقتصادية هو أكثر أهمية. (ديوي جون، 1979: 112).

يرى ديوي أن المدرسة لها وظائف مختلفة فهي تبني وتهيئ الفرد لتعامل مع بيئته وحضارته بثقافة التي استمدها من مدرسته، التي تجمع أفراد المجتمع تحت عادات وتقاليد موحدة، يشير إلى المجتمع الأمريكي كيف استطاع أن يبني ثقافته من تربيته التي تعتبر جوهر التقدم والرقي والإصلاح الاجتماعي، فهي عملية مستمرة ودائمة للفرد تساهم في بناء ثقافة المجتمع. لقد جعل ديوي التربية وسيلة للمنفعة وأهمل الجانب الروحي في الإنسان واهتم بالجانب المادي، كما أنه اعتبر المدرسة هي الحياة وجعلها تتعدى حدودها، وأهمل الجانب السيكولوجي عند الطفل

كما أن ديوي فرق بين الدين واعتبره قوة عليا يقتصر على رجال الدين أما التدين فهو ظاهرة اجتماعية خاضعة للثقافة، إذن ما المدرسة التي يريدها ديوي؟ وما نوع التربية التي تساهم في ثقافة المجتمع؟

المراجع:

- أحمد فؤاد الأهواني، (1968). **جون ديوي** ، سلسة نوابغ الفكر العربي ط2 ،مصر: دار المعارف.
- إ. م. بوشنسكي، (1992). **الفلسفة المعاصرة في أوروبا** ، دط، ترجمة عزة قرني الكويت: عالم المعرفة.
- خالد محمد أبو شعيرة، (1981). **المدخل إلى علم التربية**، ط1 عمان الأردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.

- ديوي جون، (1946). **الديمقراطية والتربية**، ط2، ترجمة متى عفراوي، بغداد العراق: مطبعة لجنة التأليف والترجمة.
- ديوي جون، (1947). **تجديد في الفلسفة**، دط، ترجمة أحمد أمين مرسي قنديل القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو مصرية.
- ديوي جون، (1955). **الحرية والثقافة** ، دط ، ترجمة أمين مرسي قنديل ، القاهرة مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ديوي جون، (1959). **نوابغ الفكر الغربي** ، ط3، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني القاهرة، مصر: دار المعارف.
- ديوي جون، (1960). **البحث عن اليقين** ، دط، ترجمة أحمد فؤاد القاهرة، مصر: دار إحياء الكتب العربية.
- ديوي جون، (1968). **عقيدتي التربوية**، ط2، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة مصر: دار المعارف.
- ديوي جون، (1979). **الفردية قديما وحديثا** ، دط ، ترجمة خيري محاد لبنان بيروت: دار مكتبة الحياة.
- جون ديوي، (2003). **الحرية والثقافة**، ، دط، ترجمة أمين مرسي قنديل الإسكندرية، مصر: مطبعة التحرين.
- ديوي جون، (2010). **إعادة البناء في الفلسفة** ، ط1، ترجمة أحمد الأنصاري القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة .
- عمر أحمد الهمرشي، (2001). **مدخل إلى التربية** ، دط، عمان الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- لطفي حجلاوي، (2013). **التربية الديمقراطية** ، د1، بيروت، لبنان: دار الروافد الثقافية.
- محمد لبيب النجيحي، (1981). **مقدمة في فلسفة التربية** ، ط3، بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.

- محمد لبيب النجيحي، (1981). **الأسس الاجتماعية للتربية** ، ط2 بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.
- موريس تشارلز، (1996). **رواد الفلسفة الأمريكية** ، دط، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، رويال، فرنسا، الإسكندرية مصر: مطابع رويال.
- John Dewey, Evelyn Dewey, (1915). **Schools of To Morrow**: Edition United States.
- John Dewey,(1934) . **A common Faith**, new Haven and London: by Yale University press.
- John Dewey , (1941). **Education Today**, George Allen and Unwin: New York.

للإحالة على هذا المقال:

ـ بن صابر محمد، سواريت بن عمر، (2019)، «الثقافة والتربية الدينية عند جون ديوي». **المواقف**، المجلد: 14، العدد:01، مارس، 2019، ص. ص. 215 . 238